فكم سمعت من علماء الدين قول كهذا " أنا أفكر بعقلي ". مع أن العقل لا يرى الفكر حيث هو جوهر لا مادة فيه، والفكر مادة لا جوهراً فيها . والأهم من هذا كله أن العقل لا يفكر لأنه كمال لصفات الخير كلها، والكمال لا يحتاج حتى يفكر. إن السيد المسيح لم يفكر أبداً لأنه كان أبداً مع الله ، والله هو الكفاية، بينما يبقى التفكير والبحث والتقصي من خصوصيات الفكر من أجل زيادة مكتسباته، فهل من مليونير في هذا العالم لا يفكر ليلاً ونهاراً عله يزيد ثروته ولو فلساً واحداً، أليس الجشع بكل حجمه عند أولئك الأغنياء؟ أليس هم الذين حكموا العالم وقادوه إلى حروب كان الفقراء وقودها؟ أليس هم القانون والسلطة والسيف المرفوع أبداً فوق هامات الشعوب تحت نظريات هيجل وغيره في تأليه الفكر، حتى غدت الشعوب تأله قاتليها بسيف ذلك الفكر.

إن الجميل في ما قدمه جنبلاط في هذا المجال هو أنه قد اتخذ من جمال الواقع صورة من أجل أن يجعل منها أبدع صورة تتألق في لبنان ويتألق لبنان بها، ولا بد أن تكون بقلم الفكر حيث هي من واقع الفكر.

إنني بعد أن طالعت جنبلاط في العديد من مؤلفاته، وجدت أن يكون هو صورة كتابي هذا وكل صفحاته التي سوف تكون به غنية ، لأنني أتوق لأن تكون ثروة المعلم هي كتابي هذا، من أجل أن يكون كتابي هذا هو الأغنى، وسوف تتألق الصورة حين أكون مع جنبلاط المعلم وليس جنبلاط الدولة، وقد مرّ بذلك الاختيار سماحة الشيخ الجليل " جمال الدين عبد الله التنوخي الذي حمل رسالة التوحيد إلى دمشق وكان بها ومنها محل إجلال وتقدير واحترام لدى الدمشقيين جميعهم راجع بحثنا " من وحي الحقيقة" في كتابنا " ما بين الفلسفة والعقل" ص 107

الجزء الخامس من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

openkanad.com

قبسات من أدب كمال جنبلاط

" الأدب نظام الحياة ". جنبلاط

يقول المعلم: "مفهوم الأدب هو احترام النفس واحترام الآخرين. ومن لا يحترم نفسه ويعتبر قيمها فكيف يصحُّ له أن يتوجه إلى الآخرين بالاعتبار والاحترام؟

ويتابع المعلم قائلاً: إننا نكتب هذه الخواطر لأننا نلحظ أكثر فأكثر – ويا للأسف – موجةً من التحرر المزعوم من قواعد اللياقة والآداب التقليدية، والأخلاق السليمة السالفة، تجتاح لبنان وتحاول تهديم أفضل ما فينا. ومن لا يستوي له تهذيبُ خارجه فكيف يستقيم له تهذيب داخله؟ ص 11

في كتابنا نظرات في عين الحقيقة الطبعة الثانية، أتينا على هذا الموضوع تحت عنوان "ما بين الحضارة والاحترام" ص 30 قلنا في الصفحة الأولى

(إن جملة الأشياء الجوهرية، ينبوعها الوعي، والحضارة نتاج ذلك الوعي. ... فالحضارة ، إنما هي الاحترام ، احترام الحياة والوجود، احترام الإنسانية والإنسان، احترام الطبيعة، واحترام الحيوان والطير والنبات والحجر .... إذا، إن الاحترام ينبوع الحضارة)

إن الأدب ينبوع الاحترام، إذا ما كان ينبوع الحضارة. فكلمة " بيتىّ "أي "من فضلك "حسب رؤيتي في ألمانيا الديمقراطية عام 1972 هي الأولى والسابقة لكل كلام بين اثنين بغض النظر عن جميع الفوارق بينهما.

إن الذي أرسله الغرب إلى شعوب العالم الثالث، هو نفايات ذرية، وسموم تقتل فيها أصالة تلك الشعوب وأخلاقيتها، إذا ما خرج ذلك الجيل الجديد من دائرة أسرته الأخلاقية، بعد أن وصلت حضارة غريبة عنه إلى غرفة نومه، وبعد فشل الجيل القديم من تقديم الرسالة التي تقنعه أنها الأفضل والأغنى، حيث تمرّد وكان تمرده سلبياً نظراً لحصول حلقة فارغة عجز الأهل عن ملئها بما ينسجم مع تطلعات الجيل الجديد الذي راح يغرّد خارج المألوف عنوة، في حين أن القادم من

وراء الحدود يغذي فيه ثقافة الغرب التي عملت على ضياع الأجيال، لا بل ضياع الإنسان .

إن المجتمع الشرقي بآدابه الشرقية وأخلاقه وسماته ومثله قد أصبح في الخلف لأنه عجز عن الارتقاء بتلك الأخلاقيات والسمات والمثل وترسيخها بالحكمة والوعي في حاضرة المجتمع حيث بقيت في لونها القديم الذي لم يتآلف مع عصر كان قد فرض أخلاقيات غريبة على تلك الشعوب، إنما استهوت رغبة من يجهل قيمة أصالته الشرقية ، ومن لا يعرف أبعاد ما يجهله.

أدبُ الجمال الأصيل وَطعام الشياطين

" أما آن لك أن تتطهري مما حولك لتصبحي في أعلى عليين ما بين مساقط النجوم"

أمحوتب

يقول المعلم: " أن الآداب والفنون كانت ملهاة لعب الآلهة فلا تجعلوا منها أغراضاً للإلهاء في المعنى السقراطي والباسكالي القديم، أو مصدر للتهديم ولإشاعة الانحلال، أو طعاماً لبعض الشياطين.

ويتابع قائلاً: الأدب الحقيقي هو الذي يرتقي بالنفس، يرفع ولا ينزل، يصون ولا يهدم، يبعث السعادة لأنه يبعث الجمال الأصيل في النفوس حيّاً، وإذا لم يكن الجميل فينا وجهاً لطبيعتنا الحقيقية، فكيف نستطيع أن نتذوق الجمال؟.... والجمال بحدّ ذاته معراج، لا هوة تحوّل و توقف أو انزلاق.

و يقول: الأدب والفن هو تعبير عن هذا الانسجام الرفيع بين العقل والقلب، على ضوء وعي الحقيقة الأخيرة المطلقة، أو هو على الأقل تعبير لانعكاس هذه الحقيقة الأخيرة في الحقائق الجزئية والتفصيلية التي تبرز في نطاق الدين والدنيا والسياسة والوطن والتاريخ والحضارة والحياة بشكل عام...

openkanon.com

ويقول: الأدب والفن مسلك للارتقاء ولترقية الآخرين، وليس هو بضاعة ينتجها أصحابها في قصد الوصف والإثارة...

ويقول:الفن يتعدى في الواقع الجمال ذاته، ليعكس ما أمكن صورة تجلّي الحقيقة فينا وحولنا... وهذا التجلّي يكون في النفوس مصدراً وباعثاً للجمال، لشعور الجمال الذي هو بدوره صورة لطيفة لا أكثر لهذا التجلي" ص 14

إن الفن هو قيمة جمالية للحركة،والأدب إنما هو قيمة معنوية لكل حركة ارتقاء في إنسانية الإنسان،حيث هي حركة نحو الوقار الإنساني، إذا ما كان الوعي هو القائد الحكيم لتلك الحركة.

فكل ما يتكشف من جمال الروح الكلي يتوّج الوجود بتاج الجمال القدسي ليصبح الوجود هو عرش الجمال الحقيقي المتجلي بوعي ذاته فينا.

إن كل لحظة نرقى بها نحو جمال وجودنا، نحوماهيتنا المتناغمة مع ترانيم الأزل تجعل منّا وفينا مواقع توق واشتياق إليها، إذا ما كانت هي في ذاتها توق واشتياق إلى جمالها القدسي، إنما هي تترنم في غبطة ذاتها على تناغم ذاك الجمال.

فالكل على قيثارة الوجود يترنم، إذا ما عزف الوعي لحن الخلود على تلك القيثارة التي هي نبع للفن، ووتر للحقيقة ، ونغم للحياة الأزل.

العمل والفن

يقول جنبلاط :" بدأ العمل البشري ..متماهياً ومتوحداً مع الفن ذاته،الفن الذي كان بدوره حركة سحرية دينية بالمعنى الكوني القديم للكلمة، مع هذه الملاحظة بأن الفصل لم يتم إلا في وقت متأخر جداً، بين ما اتفق على تسميته فيما بعد تسمية عشوائية ، المادة والروح، المادي والروحاني.

وعليه، فإن العمل البشري يعتبر حركة من حركات النفس البشرية، في كليتها، ولونا من ألوان التكرار الواعي والطقوسي لما يدور حولنا في العالم، حيث

obeikandi.com

أن الخلق مظهر يتحقق في الحاضر الدائم، ولكن في صمت التغشية وكما لو كان في لاوعي العالم.

ثم يقول جنبلاط:"في يوم ما– قد يبدو قريباً جداً– ستذوب بدورها التفرقة بين المادة والروح، وهي التي نتجت لاحقاً عن ثنائية خاطئة دينية وسياسية، في منظور أكثر وعياً بالطبع،أو أكثر إدراكاً واعياً إذا أردنا في نور التحقق الفعلي للكائن في ذاتنا". ص 36

إذا ما أردنا فصل النفس عن الروح، نكون قد جزأنا ما هو غير قابل للتجزئة،وإذا ما قلنا إن النفس أي الروح تتحرك، نكون قد وقعنا في معضلة وهي علمنا أن الجوهر ينبسط ولا يتحرك،والروح جوهر يحرك ولا يتحرك كما أن كل شيء بالنسبة إلى العمل يتجدد ولا يتكرر، " فكل آت جديد". وقد ذكرنا سابقاً بأن المادة حين تنعتق من قيود الفكر تصبح حركتها إرادية ثم تتكيف بخواصها حسب إرادة مُرادة من مريد ما، إنما تصبح حرة أبداً، وهي مادة مستقلة في ذاتها المادية، ومحققة غاية مرادة، حيث إن سريّ يكستوار دخل غرفة يوجانندا شعلة نور ثم تجسد في جسد سري يكستوار الذي يعرفه يوجانندا .

إن إلغاء الثنائية لا بد أن يكون في إلغاء الاختلاف، فحين تصبح المادة حرة؛ فقد تصبح جديرة في حركتها السرمدية من أجل تحقيق غاية المُراد الجوهرية.

يقول المعلم:" أحب في هذا المجال أن أشدد وأعتمد هذه العبارة الرائعة لتيلار دو شاردان ، بانتظار ما يأتي وباستشفاف آفاق المستقبل:

"لا يوجد بالملموس لا مادة ولا روح،ولكن يوجد فقط مادة تصير روحاً، ليس في العالم لا روح ولا مادة، فقماشة الكون هي الروح– المادة فلا جوهر غير هذا يمكنه تكوين الجزئية الإنسانية". ص 37

إذا ما كان الجوهر محض صفاء، والمادة تزول في شكلها الحالي مع زوال الفكر، والعالم صورة متصورة بقلم متصور في ذات الصورة،والحركة في ذاتها سرمدية لأنها حركة غائية، والإنسان غاية الوجود المتصور من خلال حركة إرادية لهذا الوجود السرمدي. إذن يصبح التوحيد هو الغاية، ونعني بالتوحيد فقط " زوال

الاختلاف " أي وحدة الصورة – وحدة الوجود -وحدة الغاية - وحدة العقل - وحدة الدين – وحدة الإنسانية المتحققة بالوعي في نعيم خلودها.

هنا نرى أن شيئاً واحداً فقط قد زال من هذه المعادلة هو" الاختلاف،هو الفكر".

" المادة – الصورة " ، " الصورة – الهيولى " ، " الثبات – الحركة"، "المادة–الروح" "اللطيف– الكثيف" ، "الجوهر–العرض" ، "الحجاب – المحجوب"، "الظاهر – الكينونة"، "الطبيعة – ما وراء الطبيعة"، "النفس– الجسد".

هي ثنائية مباركة توحدت بفعل شوق الهيولى إلى إثبات وجودها فاتحدت بالصورة، وشوق الصورة إلى ثبات جوهرها فاتحدت بالهيولى. لا جزئية في جوهر بسيط لا يتجزأ ، لأن الجسد الإنساني هو حجاب الجوهر الذي يحتوي كل شيء في الوجود حتى خلايا الإنسان، مما جعل المادة سرمدية الوجود حين تكون حرة من قيد الفكر وتتكيف بخواصها حسب إرادة مُرادة .

يقول المعلم: "لقد قال هايزنبرغ هذا أيضاً.إن وحدة الكون، "بيضة الذهب" الأولى للمادة والروح، كما كان يدعوها بعض أوبانيشاد الفيدا ، قد انكسرت، بالنسبة للأوروبي، نتيجة الفكر الديكارتي وبنظرية الحيوان الآلة. فالفكرانية المحضة قد ارتكبت هذه الخطيئة، هذه الفكرانية التي ولدت الآلة والحضارة الصناعية الأولى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر".ص 38

لقد كان الفكر الأوروبي تجسيداً لمادية الحياة، وتطويراً للاقتصاد العالمي وجعل الإنسان وسيلة دنيّة من أجل خلق الطبقة الرأسمالية التي سيطرت على العالم .

لا يوجد الفكر المحض، لأن كلمة "محض" تدل على الجوهر فقط ، كأن نقول: " الصفاء المحض" الدالة على الجوهر المحض وهو الله جل جلاله، ونقول: " صفاء محض " لندل على العقل. وإذا ما قلنا فكر خالص، أي فكر فان، لأن الفكر لا يمكن أن يوجد إلا بالفكرة القائمة والتي لا توجد إلا بالمادة القابلة.

هم عباقرة الفلسفة الأوروبية، الذين كانوا دعاة أوفياء من أجل بناء الطبقة الرأسمالية والامبريالية الاحتكارية في العالم، فعملوا على تأليه الفكر الذي أرسى دعائمه بيكون وديكارت وهيجل وغيرهم من فلاسفة أوروبا 0

obeikandi.com

يقول المعلم: "إن التماهي مع شيء ليس ذاتنا الحقيقية كان دائماً في أساس أي خطيئة ، أو في أساس أي شعور بالذنب.

فعلى سبيل الاختصار : هناك ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى هي مرحلة تجسد الفن في العمل – فالتوراة لم تفهم شيئاً من هذا – إنها مرحلة الحركة التي لم تنفصل بعد عن النفس، عن الشجرة التي هي ثمرة لها.

المرحلة الثانية هي مرحلة الانفصال والمقابلة .. فالشجرة المنتجة لم تعد الإنسان بشكل مباشر، ولكن الآلة التي يراقب الإنسان سيرها بكل بساطة. ومع ذلك فالإنسان هو الذي ابتكر هذه الآلة.

والمرحلة الثالثة التي نستشفها من خلال اضطراب العالم الحديث، هي العودة إلى شكل جديد من الوحدة بين الفن والعمل، زواج معين، العودة إلى مفهوم الكل، الكوني، الإنساني.

فالكوني، بعد الآن، هو الطريق الوحيد نحو الإنساني، كما كان الأمر دائماً في الواقع. تذكروا الأصداء الكونية للحكمة القديمة، والصوت الصادق لأنبيائكم وحكمائكم وحتى لعلمائكم". ص 41

المعلم يقول الحقيقة، إذا ما كان التماهي مع الفكر الذي ينفي ما عداه، وهو ليس ذاتنا التي كانت حرة قبل التماهي مع الفكر، فالحرية تتعدى القيود التي أثقل بها الفكر كاهل الإنسان.وهو الذي قادنا إلى الخطيئة ورمى بالفعل على النفس وهي جوهرة مكنونة من روح الله معتوقة في ذلك الجسد المظلم لا أحداً يذكرها ولا أحداً يراها ، إنما الكل يرمي بالذنب عليها ، وهي من روح الله، وروح الله بريئة من أي ذنب.

ويقول المعلم عن تجسد الفن بالعمل. في الحق أن الفن في صميم كل شيء، هو في صميم الحركة ، فانظر الأفلاك والمجرات، وانظر وردة صغيرة أو ثمرة تخبرك أنها صناعة فنان عظيم.

لدى الفكر كل شيء من أجل المصلحة حتى الفن، إنما هو غرض يرمى في سوق النخاسة .

openkanadi.com

إن الفكر يتاجر بكل شيء ، عبر تاريخه الأسود ، ولو لم يتاجر بكل شيء كان عليه صيانة المقدّس "فالقرآن يُحرق" صيانة الإنسان " فالإنسان يُقتل" صيانة الروح، فالروح تزهق. وكل هذا من أجل المصلحة التي هي المقدّس الوحيد عنده حتى يبدّع ما هو أكثر ذاتية له.

هو الفن الذي يتكشف عن جمال الوجود– عن عظمته، يتكشف بالوعي، حين يتناغم روح الفن مع روح الوجود– مع ماهيته – مع كليته ليصبح الكل نغماً واحداً يتناغم في ذاته – يتناغم مع ذاته.

أليس الإنسان في ذاته نغماً على قيثارة الوجود، إذا ما كان بالوعي صدى لذاك النغم.

أليس الإنسان جملة أوتار تحركها نسمة وعي، او نفحة حب،أو نغمة شوق،أوكل هذا وذاك الذي يرتل آيات الأزل في عرش كل امرىء يعي الوجود نغم.

يجب أن نعي نغم الوجود ،ثم نجسّد ذلك النغم، إذا ما أردنا غبطة الروح وبسطها.

إن في صحوة الوجود توق الأشياء جملة إلى ذاتها ، في صمت وصفاء، في شوق إلى الوحدة – الوحدة التي تردد نغم ذاتها – على قيثارة الوجود، فيتناغم الكل في ذاته– على نغم ذاته - فالكل هو الوجود، والوجود هو الكل المتناغم على نغم ذاته.

إن في صحوة الوجود – توق الأشياء جملة إلى جمال الوحدة،إلى جمال الصمت والصفاء، إلى جمال الحقيقة التي ترقى إلى عرش الجمال القدسي، حين يحققها الوعي.

والسؤال الكبير لدى حنبلاط : " هل ستدمر هذه الحضارة أم تنقذ؟ لآن الإنسان يحتاج بشكل أساسي إلى العفوية، عبر الفن وعبر الانفصال والفرح على شاكلة جده الإنسان – الرسام في الكهوف. هذا ما سوف نعرفه قريباً جداً".ص 43

يجب أن يكون همّ الحضارة الأول ، هو الإنسان الذي يرقى بالحب إلى مواقع ملاك طاهر ، ويسقط بالحرب إلى غابة الفكر الوحشية.

إن الطبيعة تنبّه وتحذرّ ، والعيب هو جعلها عدوة الإنسان ، وقد تقوم لتثأر منه إذا لم يعقل ما يتصرف به هذا الفكر من عبِّر.

إن العفوية التي يطلبها جنبلاط قد أضحت في عالم الخيال، حتى الطبيعة نرى أنها قد أصبحت ثكلى بعد أن دمّر الفكر عفويتها من جراء هذا الصراع الغبي معها.

والفن الذي عبث به الفكر قد أصبح من جملة السلع المرمية في السوق، ولم يعد قيمة جمالية في حياة البشر.

إن القيم التي يطلبها جنبلاط ، هي بحاجة ملحة إلى معلم يحمل علمه بتلك القيم، العلم الذي يفتقده البشر يوماً بعد يوم.

فلا عملية جراحية، تشفي الجسد البشري الذي فقد جوهره العقلي، إنما هو الشفاء من كل سقم في وعي البشر إلى سبل خلاصهم ، إلى صراط أمرهم، إلى تغيير الواقع القائم على المصلحة، إلى واقع يحقق واجب الحياة الحقيقية انسجاماً مع حركة الوجود السرمدية، إذا ما كان البشر هم جوهر الوجود وحركته فيهم ولأجلهم ، حركة بسط وغبطة وهيام؛ واجدة في ذاتها لذة الحياة وسعادة الجميع.

إذا ما كنا نعمل في وسائل القتل المميتة، لا بد أن نكون نصنع الموت وليس الحياة، ونكون دعاة فناء، وليس دعاة بقاء، لأن الكارثة الحقيقية التي تهدد الإنسان هي أفكاره الضالة ، وليس علمه ووعيه.

هنا يترجم عباراتنا جنبلاط المعلم تحت عنوان (الفن والعمل) بقوله :" لماذا لا يهتم الفن أكثر من ذلك بالعمل ؟

فيجيب قائلاً: لأن عدداً من فنانينا لهم أدمغة محترقة من جراء ألف هرب نحو عالم اللاواقع المحض، أو أن مخيلاتهم تسكنها أعداد لا تحصى من الأوهام أو الطوباويات المختلفة..أو لأن الفنانين يستمرون، كما في الماضي، بالانتفاض ضد الآلة وضد المجتمع الصناعي الذي خلقته، ضد المدينة -الوحش، والحياة البرجوازية والدولة البيروقراطية، وذلك بدل الاندماج في المجتمع وتحمل المسؤولية التي يعاد تقييمها من جديد. أو لأن الفنانين – وهذا عذر آخر محتمل – يفتشون عن العفوية التي هي عمق وجوهر كل فن".ص 43

نرى أن الأثمان التي دفعها الفكر من أجل تحييد الفن عن مساره الحقيقي، باهظة جداً، حيث أخرج الفن والفنان معاً إلى دائرة اللاواقع، وحيّد نوع الثراء إلى ثراء مادي جشع، وأبعده عن الثراء الحقيقي الذي به يصبح الفن رسالة تحمل القيمة الجمالية إلى الحياة بأسمى معانيها يثرى بها الوجود ثراءً حقيقياً.

فالنغم، إنما هو نغم الوجود وعلى قيثارته الصافية تُعزف أنغام الأزل، تـُعزف من أجل غبطة الروح الجوهر، لتهمس في الأعماق من الأعماق، وليست طبلة الصخب القاتلة لنغم الوجود.

في دقائق ثلاث يقبض الفنان " مايكل جاكسن " سبعة ملايين دولاراً أمريكياً ثمناً لدعاية فنية لإحدى المشروبات الروحية. فلماذا الغضب إذا ما كان يصنع العاصفة.

وسألتها بقولي: لماذا أنتِ عاصفة؟ فقالت: كالأديم العليل همست إلى الإنسان أن يسمع نغم الأديم، فكان مشغولاً عني وعنه، فدعدغت ذاته بنسمة الغروب بعد أن مزجتها بشوقي ومحبتي، لكنه كان يلهو في لعبة زهيدة، فرشقت كيانه في رياحي المعاتبة ، لكنه كان يأكل بنهم فلم يسمع ولم يجب، فصفعته على جبينه برياحي الغاضبة، لكنه تجاهل حبي وعطفي وغضبي، فصرخت بكل أرجائه من كل أرجائي ... بعد أن صيرني بالكره عاصفة. فازدراني وقال لي: إنكِ عاصفة شرسة لا ترحم.

إن النغم الهانيء على شفاه الأوتار والذي يسري كالعبير من أجل أن يغبط الروح ويبسطها ، وتلك الموسيقى الصاخبة لا بد أنها تفعل بالجسد – إذا ما كان عالم الروح هو الحرية الخالصة والصمت التام والصفاء المحض.

إن المدينة والمدنية والحضارة والتقنية، مطلب الوعي، فمن يعي هو هناك في تلك المواقع المهيبة حين تلتقي مهابة الحضارة بكل معانيها مع الوعي الذي يقودها إلى سعادة البشر.

كانت العفوية مسلك الحياة قبل طغيان الفكر الذي اقتلعها من جذورها، إنما اليوم فلا بد من اغتسال العالم من آثار ذلك الطغيان من أجل أن يولد بعد أجيال عديدة ، من هم أبناء العفوية الخلاقة النظيفة من وباء الفكر.

وقد يسأل أحد عن هذا الإطراء للفكر؟ فنجيب بقولنا: إذا كانت مئات الأجيال قد عرفت أن الفكر مصالح ورغبات، وتعلمت بتلك المدرسة، وتغذت من زاد ذلك الفكر ونهلت من مسكراته ، وحاربت من أجله... فهل بقي من موقع للعفوية في هذا العالم المحكوم باعتا أسلحة للفكر؟

جنبلاط على عتبة المستقبل حيث بدأ الغد فعلاً

ليقول: " في النهاية هناك واقع: إن أطرنا الاجتماعية والسياسية تتدهور وكل تقاليدنا يجري تحديها وتميل نحو التبدل أو الزوال.

مقاييسنا العقلية تتهاوى، فلم يبق سوانا لرؤيتها. لا أزال أذكر هذه الجملة للحكيم والتي تتعلق بالمستقبل والتي كانت السيدة غوديل ترددها لي:

إنها أفكار وآفاق ألقيها عفوياً أمام أعينكم، إنها مقلقة للذي يعرف قراءة علامات الزمن في السماء المشتعلة عند أفول عصر يبدو أنه على وشك أن يستبدل بعصر آخر.

" أن نرى ؛" كان يقول شاردان أيضاً ، هذا هو الأهم". ص 44

لكن جنبلاط كان قد ذهب إلى المستقبل وحيداً حين وجد العالم يغرق في أوهام التقليد والمصلحة والغرضية وصناعة الماضي البعيد، ذهب المعلم والعلم والتعليم شهداء،فصاروا شهوداً على غطرسة العصر الذي شابت الأيام من شراسته.

ذهب جنبلاط إلى المستقبل،وراح العصر يبحث عن وسيلة يمنع بها حركة الزمن، فلم يجد سوى آلة الصراع العاتية في ميادين القتال وقد شاخ العصر،وشاخ من هول موبقاته الزمن، شاخ العصر من كثرة لعنات الزمن.

أفضل الشعر عند المعلم

حيث يقول: " الشعر، أفضل الشعر، هو الذي يلقي نوراً على كينونة الحياة، أي على الحقيقة وعلى الجمال. والجمال شعشعة الحقيقة ووجهها المختبيء فينا، وهي جوهر ذاتنا وسدى ولحمة طبيعتنا الأصيلة الأساسية.

والشعر يتكوّن في هذا المرتقى ويتبلور في هذا المستوى من الباطن الذي يعقل فيه الإنسان بذور العواطف والأفكار، ويتحسس ببروز الأنا الفردية من حيث تولد الأفكار وتتبع العواطف – أي في نطاق الوعي المتحوّل الذي يقوم بين المعرفة المحض، أي عدم القدرة على العقل وعلى التعبير، وبين القدرة على عقل الصورة وتعبيرها – كأن الإنسان يكون على الدوام في انخطاف يقظة، تحجبه تارة عن ترجمان اللسان وأداة الإخراج، وتدنيه تارة أخرى من التجسد والحلول في الحرف الملحوظ... وهكذا دواليك إلى أن يتم القصد ويكتمل القصيد.فالشعر هو شعر الداخل الباطن، لا الخارج، والموسيقى موسيقى الجنان لا الأنغام المسموعة والألحان ". ص 47

بلى، أن أفضل الشعر، هو المتصور من كينونة هي في ذاتها نور - نور الحياة، إذا ما كانت هي نبع النور - نبع الحياة، إذا ما كانت الغاية وعي النور– في مواقع النور - وعي الجمال– في مواقع الجمال– في رياض الحقيقة– المشرقة بالوعي على مظهرية الوجود.

هي الحقيقة في تجلٍ مطلق لمن يعي الحقيقة، هي جوهر النور المشرق أبداً، يراه من يبصر النور.

إن بيننا وبين الحقيقة – حجاب الفكر - حجاب الجهل، ونحن نختبيء وراء ذلك الحجاب رهبة من الحقيقة. والأنا الفردية، إنما هي الحقيقة التي نعقلها بالوعي.

obeikandi.com

هناك، في مواقع الوعي ، الكل يعي الكل من غير كلام ، إذا ما كان الكلام وسيلة عبور فقط إلى البسط التام - إلى الصمت التام – إلى جمال الوجود الحق.

فالجميل الجميل هو المتصور لمن صار في مواقع التصور، لتكون الصورة هي الكلمة الأخيرة – حين تكون في غاية التصور. ...

يقول جنبلاط: "هذا النوع من الشعر استشفه وأدركه الحكماء وكبار المتصوفين والأبطال والأولياء وشعراء الروح الحقيقيون – فكان شعرهم ونثرهم - ومن ضمنه غزلهم الوجداني – هذه الروعة التي لا تبارى ولا تجارى.

والنوع الثاني من الشعر هو الذي يتصل بحياة الإنسان، فيحاول تصويرها على أحق وأدق وأفضل ما يمكن.

فهو الشعر الذي يتعلق بالرغبات ويعلق بالأغراض، لا بالشخص المدرك وبالعقل العاقل الواجد للرغبات وللأغراض، أي بالشاهد المنزَّه المجرد عن المتى والأين.

وقد يحاول هذا الشعر أن يرتفع بالإنسان إلى نقطة ارتكازه ومحور وجوده، ولكنه في كل حال لا ينبعث ولا ينشقّ ، متدرجاً متنزلاً، من هذا المرتكز الأرفع ومن هذا المحور إلى ما دون.

وفي معنى آخر فإن الشعراء على أصناف أو مراتب ثلاث:

منهم من يصف الأغراض – أي الصور الحسية والعواطف والأفكار التي يقع عليها النور.

ومنهم من يصف الأغراض وانعكاسات النور عليها ، دونما أن يلتفت – وهذا شعر المتفوقين.

ومنهم من غاصت عيناه في لجَّة النور فغاب في النور وأضحت موسيقى النور سعادة ذاته ، فإن صدف له وخرج من ذاك النطاق السحري المسحور قال ما قال، لا لكي يسمعه الناس – وهم ليسوا في سكرة الدنيا بموجودين – بل لكي يراقب حقيقة ما يشاهد. وهو أعظم الشعراء وأعظم البشر: فما همه إن صاغ شعراً أو

obeikandi.com

كتب نثراً، أو سكت جيلاً، فالشعر ملأ برديه وطفح جنانه. والشعر واللحن و روعة الشكل الجميل نغم من أنغام وجوده الممتلىء الفائض" ص 48

هنا ينأى جنبلاط عن متاهات الفكر وينأى الفكر عنه خوفاً و رهبة ، فقد تاه الشعر في جلال الدين الرومي حين تاه جلال الدين عن متاهات الفكر وتاه في الرومي جميع من تاه عنهم الفكر كشمس الدين والعطار وشكسبير وطاغور وجبران وغيرهم.

فمن ولجَّ البحر لا يخشى منه غرقاً، لا بل يغوص في الأعماق ، فيصطاد حباً من أعماق البحر ، ويعلم أن الحب في الأعماق، والأعماق هي البحر، لذا فمن الأعماق كتب جنبلاط ، كتب عن الأعماق واتخذ من الأعماق مسكناً ، فصار هو جنبلاط - مسكن الروح، وفي الروح هو. 000

يقول جنبلاط: " بعضهم يستجدي الألم، ويمتع نفسه بالشقاء، لكي يصل، ولكن طريق الفرح هي أكمل وأجدى .. " كل شيء هو فرح ، هو فرح " ذاتي الجوهرية، المشعة في الوجود الظاهر".ص 50

إن الجوهر في ذاته غبطة سعادة سرمدية، هو يترنم على لحن الخلود، هو في ذاته ترنيم على وتر الأبدية؛ هو في ذاته الأبدية والخلود.

وقد ذهب المتصوفون إلى حدادة النفس حتى وصلوا إليها، وقد أشرقت من وراء مطرقتهم الحديدية لتخبرهم بأنهم قد صنعوا جسوراً صلبة إليها، إنما هي " فرح" قبل وبعد ، وجهادهم هو في صناعة الطريق إليها.

يقول الكاتب: "وفي مقدمته لديوان "فرح"، كتب المعلم كمال جنبلاط الكلمة التالية:

هذه لمحات من توجهات تعبدي وتطهيري في مسار العروج إليه جاءت كما هي دون رغبة أو طلب .. لست بشاعر، ولكنه الشعور، أحياناً، هو الذي يشعر..

وضعتها اليوم، ولا أدري لماذا، وقد تكون عوناً صغيراً– بنعمة المرشد والمعلم - لي ولطالبي العشق أمثالي في وهم موجوداته وفي خدعة لعبة Lia Divine .. ..

في بهاء الشموع

هذه الشموع، أزلها ؛
فالنور من ناره ينسكب
في بهاء الوجود ،
في نعيم اليقظة ..
ألف فراشة
من فراشات عقلي
تحوم
تدور
حول نار المجوس ،
حول نار الحق.

❖❖❖

لا تحجب عني،
في معراجك،
رؤية دموع الشمع ،
وهي تصطلي في جناب الرحمن ..
هي قطعة من صبا وجدي ،
من شآبيب بصيرة لروح
تبكي على ما مرّ من الأزمنة
وتعاقب الأدوار،
قبل أن يتسنى لها
أن تعود إليك،
لتحمى ، وتجدد،
في زمزمة نار مجوس وجودك ،
في يقظة الكينونة المحض.

❖❖❖

obeikandl.com

مولاي، دنياك هذه
هي من حلم نفسي
ومن حصيد أيامي ولبسي ،
أحرقني وإياها
في معراج براق قدسك
وأطفىء الشموع
فلا يرى أحد غيرك
في بهائك!.
حكايات النجوم

❖❖❖

نمضي هكذا
ويمضي كل شأن
وضيوف الزمان عيون لها تنظر
ويمتطي جوادنا الغيم
ويحيط بدنيا الشموس ،
يلتهم الشعاع في جريه
نحو القرص الذهبي ،
مسكن الروح
بعد اعتمارها بالحق .

❖❖❖

ها نحن جلسنا
إلى شاطىء بحر الحقيقة ،
نفرغ منه، في نفوسنا ، أباريق الزلال من نوره،
فنرتوي من ضياء ذواتنا.

❖❖❖

obeikandl.com

ثم ندنو من الجلال
فينفطر الجمال
في محاسن الربيع الإلهي الدائم
فوق أقمصة أجسادنا المشتعلة..
آه من النور،
كم تغفو عليه ألف حكاية للنجوم،
وكم أسطورة ،
للشموس الغاربة ،
تروي تطلُّع الأولياء الأبطال
إلى مرتقى العقل وعروج السراط،
ووحدة الوجود القدسي
في غيبة الوجود الظاهر   في كانون الأول 1966

فرح...لمن فاز...لمن نال...لمن عرف الفرح. لمن تعدى الحدود والقيود ، لمن تعدى الزمان والمكان، إلى الدار والديار، إلى حدائق الفرح.

فرح... ليست كلمة ، إذا ما كانت غاية الكلمات جميعها هو الفرح، وغاية المتكلمون جميعهم هي بسط كلامهم في هاتيك الرياض.

فقد زاد وزن الكلمة، حين تخطت الهدف إلى الغاية، وتعدت الشكل إلى الكينونة،وكانت كلمة المعلم،فصار الفرح منها،وصار الفرح إليها، فصارت هي في حدائق جناتها؛ حديقة الفرح.

فمن أهازيج الرعود ، نقطف نغمة من حديقة الفرح : "

أي ساحر يلعب بالهواء ، فيطويه ثم ينشره،
ثم ينشره،
ثم يحمّله الطارقات،
السابحات من بحاره، إلى جبال
أوتاد أثيره،

obeikandi.com

حيث يتساقط الهباء المنثور من جديد ،

والسائل المسجور،

فتجري الأنهار مهرولة ،

في اشتياق العودة إلى البحار،

التي منها ارتفع هيامها للجولان في أثيره ،

وللتوّحد بالجبال البيضاء، المتحفزة حين انهماره .... ص 60

❖❖❖

هي الرحلة، رحلة الكل، فالكل في سفر، سفر فيما بين العلة والغاية، إذا ما كانت العلة تنشد والغاية تنشد ، والكل ينشد ، والنشد واحد ،والمنشود واحد.

هو قال غداً ؛ وأي غدٍ يقصد ، في حين راح غدنا يسأل عنا، فلم يجد منا أحداً ، هذا حين كنا تحت ظلال الفكر نستريح .. من عناء الفكر.. بلى كنا في غفلة ، وكان الفكر غفلتنا .. حتى ضاع المسير.. وضاع المصير .. ولم يبق فينا .. سوى الغفلة.

هذا حين قال .. غداً : "

غداً ، ستمر الرياح الهوج

في بيتي

وتهدم الأثقال من فوق كتفي ...

غداً ستسير الخيول الحمر

في الربوع

ويرتوي الباشق من دم العصفور

في ثورة الأحرار .

❖❖❖

آه لسكر خمر الشباب

وعثرة الخيول

في مراكب البطولة !

أه للزمهرير

obeikandl.com

يطوي الأسارير
في عتمة رؤية العشاق،
وانبلاج شهود العروس الأزلية
في مسابح الآلهة. " ص 71

❖❖❖

قال السيد المسيح غداً . قالها ساعة التتويج ، يوم اعتلى عرشه فَرِحاً بتهديم دولة إسرائيل، يوم قال القيافة في السندهندريم : إن هذا الرجل سوف يقضي على دولة إسرائيل، يوم اكتملت الرسالة ممهورة في خاتمه الأبيض، لون الحب والسلام .

لكن المعلم، الذي عاش أجيالاً بعيدة، عاش أكثر من السيد المسيح بعشرات المرات حتى أصبحت الرسالة ممهورة في خاتم الحب والسلام، إنما باللون الأحمر.وقد عجبت من ذلك الفكر، كيف تجاهل مسيحاً ثلاث سنوات ونيف يقول الحقيقة ويعمل بها؟ وكيف تجاهل حكيماً وفيلسوفاً ومعلماً ستة عقود من الزمن يقول الحقيقة ويعمل بها؟

فقد راح المعلم يثرى بثراء الوجود الحق ، راح يتعدى عالم باطل إلى عالم الحقيقة، حين كان من ينشدهم هناك في الأعالي ينشدون الفرح. ومن هناك. من مواقع الفرح يخبرنا المعلم في لغة الفرح فيقول :

فها نحن ، في كل حين،
نمشي فوق السحاب ،
ونتسلق الشعاع الفضي،
إلى موطن القمر..
هذا الخلاص الأبدي
جاء به سيد الخلاص
يوم استضاف عقلنا نوره،
ورفع محبتنا إلى مستوى نعمته".
نتسلّقُ الشعَاع .. ص 66

obeikandl.com

في معراج هرمس، في هرم سقارة يسألنا أمحتوب فيقول: هل نسيتم أخناتون؟ ومن آفاق الهرم الكبير ينادينا " الإله – رع " ينادينا إلى حكمة الحياة والوجود.

ومن على متن الآفاق تلك يخبرنا المعلم عن جملة الأشياء والأزمان، يخبرنا في عبارات هائمة كهيام الوجود فيقول:"

منذ البدء ،

وفي صورة هرمس

ذي الشعب الثلاث ،

شاهدنا ثالوث الوجود

يتجلّى في الخلق الظاهر،

يعلن وحدة كل شيء،

قبل أن تتجمد الأقانيم

في تشخيص الآلهة،

فتفقد معناها الفرعوني الأصيل،

وقبل أن يلبس الألوهة،

رداء " ابن الإنسان ".

❖❖❖

هرمس الهرامسة،

أموحتيب العظيم،

بالمعرفة والعلم،

داس سماوات الأفلاك

" قدماً قدماً"

أعظم الأطباء ،

أروع المهندسين،

شفيع الكتاب،

سدرة الحكماء،

obeikandl.com

وقدوة الحاكمين،
جاء بالتوحيد ،
فروت له
الصحف السرية
في اليونان،
وفي النصرانية وفي الإسلام،
ما لم تنقله عن أحد مثله:
هو أدريس زمانه .

❖❖❖

" الكون كله وحدة حيّة ،
والإنسان الفارد قطرة من الدم
تسيل في عروق الكينونة ،
في حضن هذه الوحدة (الكونية)
يستقوي الساحر بسلطته:
صرخته – إن كانت – هي صرخة الصواب
تكفي ليهتز الجسم الكوني ،
لأن في الوحدة
كل عنصر يتداخل".
" إن المبدع ، جل أسمه ،
كالناطق الفائض بما عنده
من المعاني والجواهر ".
وإنما الموت رحلة
وتبدّل من حال إلى حال ،
فلا ينعدم
في الوجود شيء،

obeikandl.com

والموت وحده انعدم .

" ايه أيها الميت،

إنك تستيقظ ،

أنظر وراءك

فإن الأرض تضيء

والأفق ينير،

والموت هو

بدون شك

غير موجود. " ص 103

إن الكون كله في ذاته وحدة، وحدة تتجلى بعد رفع غطاء الفكر، والإنسان في جوهره إنما هو روح تلك الوحدة، إذا ما كانت هي هو وهو في كونه حجاب كثيف لجوهر تلك الوحدة.

إذن هو الحجاب المادي، للماهية الكلية، الماهية الواجدة في شوقها وهيامها تحقيق لغائية الحياة والوجود من خلال الجسد الإنساني الشريف. إذا ما كان في ذاته شُعاع نور الجوهر الكل.

فالمريد هنا يتأمل بنور شُعاع يحتوي الوجود، فيرى أنه هو ذات النور، إذا ما رُفع الغطاء ، وتوّحد الناظر والمنظور، كما كانت متوحدة العلة والغاية في نظر المتأمل بعين النور إلى البداية.

إن الفكر قد جسّد الموت، فأصبح الجسد هو كيان الفكر الذي يموت في كل لحظة، وفي كل لحظة، يبكي عليه وينتحب، حتى أصبح ينام كل يوم على عزاء جديد، ويصبح كل يوم على عزاء جديد، على خوف جديد، على ألم جديد، تحت غطاء جديد يحجب عنه ماهيته، وماهية الوجود.

مع هرمس يتناغم المعلم ، والنغم هو مع نشيد النفس وهي في معراجها على سّلم الأبدية بين صعود وهبوط . فيقول المعلم بلسان هرمس :

" يا نفس ، حتى متى وإلى متى

obeikandi.com

أنت في عالم الكون تطوفين
واردة وصادرة،
ذاهبة وراجعة ،
تتخذين القرناء والخلان!" ...... ص 114

لماذا أيتها النفس؟ ما دمت تتشدين غاية، وغايتك هي ذاتك في النهاية، إذن، ماذا أنت تتشدين، إذا ما كان نشدك منك ، ونشدك هو أنت؟

أنا سألتها كما يسأل الخلق أنفسهم ، فمن الخلق كنت قد جمعت سؤالي . لكن النفس راحت تعاتبني في لسان الوعي الخالص – راحت تقول من أعماقي بصمت وصفاء :

" أنا نور من جوهر النور، أنا روح من جوهر الروح ، أنا بسط وصفاء لأنني من جوهر العقل، أنا براء من الخطيئة ، فليس لي وزراً ، ولا أحمل وزر. فإذا أردت أن تراني أيها الإنسان؛ فاغتسل من أوزارك أولاً ،وسوف تجدني وتعلم إنني أنت " أنت إنسان الحقيقة الذي كنت تعرفني من البداية، فجهلك أيها الإنسان هو الذي أبعدك عني" .

" أنا لست من ربيعة ولا من مُرهْ وعلقم
أنا من روح وديعة بثها المولى وأنعم.

هما كينونة وكيان، كينونة من كينونة الوجود الجوهر، هي في ثبات مطلق، وكيان مادي يحركه الفكر إلى حيث يشاء الفكر خارجاً إلى الأغراض.

إذن، ما هي علاقة الكينونة الجوهرية في تلك الحركة المتحركة عنها حركة مادية إلى الأغراض، إذا ما أصبحت الحركة حركة شوق متبادل بين المادة والفكر من أجل مصالح مشتركة بينهما ، حيث تبقى الكينونة " الشاهد الثابت على تلك الحركة ".

إن الجوهر يحرك الوجود حركة إرادية، يعيها من يرقى بالوعي إلى مواقع الغائية، حيث يصبح من صميم الجوهر المحرّك.

obeikandi.com

لنأخذ هذه العبارات عن هرمس الهرامسة عليه السلام وبقلم المعلم:" يا نفس ،
أنت طاهرة
بسيطة لطيفة،
منيرة بذاتك،
فما لي أراك تفرحين
كلما لبست ثوباً جديداً كثيفاً " 00000 ص 119

يا نفس أنت طاهرة. إن الطهارة جوهرية لا تقبل التلوث. " بسيطة ". إن البساطة لا تقبل التكثر، فالتكثر يقبل الخطيئة. " لطيفة ، منيرة بذاتك " اللطافة للجوهر والجوهر هو المنير بذاته لذاته وللوجود ، ومن يعي تلك الإنارة لا يخطيء إذا ما أصبح بالوعي من صميم الجوهر الواحد ،ولا يمكن للجوهر إلاَّ أن يكون واحد.

فالنفس قبلت بفعل الشوق أن تتحد بهذا الثوب من أجل ثبات جوهرها ، ولا من غرض لها ، والثوب قبل بفعل الشوق أن يتحد بالنفس من أجل إثبات وجوده من خلال فعل النفس إرادياً ،وليس خدمة للأغراض.لكن الفكر كان قد استطاع على تحييد الثوب عن حريته وعن حرية الحياة في الوجود.

وفي موقع آخر يقول هرمس بقلم المعلم :
يا نفس ، أما عرفت
أن المقتول بالجمال ،
لا يحييه إلا ذلك الجمال ،
ومن أعماه النور
فلا يبصر إلا بذلك النور ، 0000000000000000000ص 121

بلى ، إن الجمال الحقيقي – يفني ما عداه من جمال ، إذا ما كان الجمال الحقيقي هو نور الحقيقة المتجلي لناظرة من يبصر النور الحقيقي.

غداً يُحكم عليك ، ولدينا وسيلة من أجل خلاصك من الموت ..... أجاب سقراط فيما معناه : إنني ذاهب إلى قوم خير من هؤلاء القوم .... ليقول المعلم جنبلاط :

obeikandl.com

أموت ، ولا أموت ، فلا أبالي   فهذا العمر من نسج الخيال
هي الأيام تجري في دمانـــا   أم الحق المكوِّن ألف حال

25 تشرين أول 1972 - ص 125

أنت وأنا كنّا من الأزل – ولم نزل في رحلتنا المباركة في حدائق الأبدية. إذا ما عدنا إلى قوله تعالى " لا تبديل لخلق اللّه ". سورة الروم آية 30 إنما هو الفكر الذي رغب لنا ذلك الشقاء الذي نعيشه ، فقادنا مكرهين إلى غابته الموحشة.

إن الفكر لا يثبت وجوداً ، لا بل هو الفعل الذي يثبت الوجود إثباتاً جوهرياً ، إذا ما كان رائده العقل ، فالثبات هو الجوهري ، إذا ما كان الجوهر ينبسط ولا يتحرك.

فلم يمت هرمس، ولا بوذا، ولا سقراط، ولا المعلم جنبلاط . إنهم أحياء في ضمير الحياة – في ضمير الأبدية، هم يولدون مع كل نسمة وعي – مع كل نطقة حب. هم يولدون كل يوم من جديد هذا حين نحدق الأبصار فيما قالوا، وفيما كتبوا ، وفيما عملوا. أنا لم أكن يوماً مع هتلر وموسيليني وهولاكو، إذا ما كان سقراط وغاندي وجنبلاط في صدر مكتبتي وفي صدر كتابي ، ومنهم صارت كلمتي ، حيث لم أعد حرفاً غارقاً في أحلام ذاته ، حين حقق توقه واشتياقه في أن يكون من روح كلمة هي –هُمْ، وهذا العمر إنما هو من أجل إثبات الدوام ، وكمال الجوهر، وإثبات الأبدية إذا ما كنّا من الأزل، إلى الأبدية. لأن الإنسان صانع الحياة، وصانع التاريخ،وصانع الأبدية من خلال أجيال وأجيال وهو هو تلك الوديعة البديعة من المبدع الحكيم إلى وجود أبدي، هو الإنسان، هو الوجود إذا ما كان في رحلته المباركة من لدن عزيز حكيم.

لماذا الصوفية في شعري؟ ويجيب المعلم على سؤاله فيقول :

" إن أكثر الناس يحبون الألم لأنهم يتلذذون به ". أجيب المعلم في عبارة : " هذا ما افتقدنا به الفكر من لذة ".

ونتابع قول المعلم : بينما أنا أرى أن الفرح هو أقرب للوصول إلى الحقيقة من العلم. فكما يفكر الإنسان هكذا يصبح. فإذا ما تأمل في نفسه،فحينها يكون

منفصلاً، في آن معاً، في مشاعره وأفكاره. فنحن " الشاهد " لا أكثر على الأفكار، على العواطف، على الأفعال. وعليه، فنحن دائماً في تأمل. وقد قال السيد المسيح: " لا تعلم يدك اليسرى ما فعلته اليمنى "وهذا يعني بأن " الشاهد " فينا غير "الفاعل " : " الشاهد " هو غير المتمتع، هو غير المفكر، غير الشاعر (من الشعور) فعندما نصل إلى هذه الحقيقة فإننا نتحرر نهائياً بحيث لا يمكن لأي شيء خارجي أن يؤثر فينا، ولا بالتالي، أن يجرنا شيء داخلي (كالعواطف وغيرها) فنصبح آنذاك أسياد أنفسنا".

نرى أن الفرح " مطلب الحياة " وقد شرب كأسه شعوب الأرض كلها ثم راحوا يتلذذون بالألم، لأن ذلك الكأس كان من خابية الفكر، وليس من خابية الأزل.

المعلم هو هيجل ، وهو ديكارت ، وجميعهم وعي ، والوعي عقل سواء علموا أم لم يعلموا.

إن الوعي هو الفرح ، والفرح هو الوعي، والفرح والوعي هما عقل، وجميعهم " فرح " – جنبلاط " فرح " لأن جنبلاط وعي . لأن الوعي " عقل " لأن جنبلاط قد تعدى المصالح والأغراض جميعها ، والمصالح والأغراض ، إنما هي فكر .

إذن لا بد من القول أن جنبلاط قد تعدى الفكر ، إذا ما كان في مواقع الوعي، وفي مواقع الوعي لا يوجد فكرة ولا فكر ، بل يوجد صفاء وحب وبسط وسلام، في مواقع الوعي ينعم جنبلاط سواء علم أم لم يعلم.

إن التفكير خاضع إلى نمط المعيشة وأشياء أخرى خاضعة، لكن الوعي يتعدى الخضوع إلى السيادة، الوعي يتعدى جميع القيود التي أنهكت كاهل البشر حيث راحوا يتلذذون بالألم.

جنبلاط يتأمل ، لكن البشر لا تتأمل إذا ما كانت خاضعة ، حيث إن التأمل عقلي خالص لمن تحرر ولو برهة من قيود الفكر.

جنبلاط شاهد على حركة الفكر، لأنه حرّر عنقه من تبعة ذلك الفكر فأصبح الشاهد على أهل المدينة وهم في رواحهم ومراحهم، شاهد عليهم من قمة

obeikandl.com

الجبل من ذاك العلو ، شاهد على حركة هو غني عنها لكنه كان من موقعه يتألم.

نعم قد " نصبح أسياداً حين لا يمكن لأي شيء خارجي أن يؤثر فينا" ولا يمكنناأن نصبح سادة إلا بعد التحرر من كل فكرة وفكر، ومن شريعة العبودية القائمة فعلاً على شريعة الغاب .

إن الفكر ينفعل،وكل ما هو قابل للانفعال هو مادة خاضعة لذلك الانفعال، بينما الجوهر يفعل ولا ينفعل إذا ما كان هو السيادة الحقيقية نظراً إلى كماله.

الشعر بين القافية والتحرر هذا حسب جنبلاط الذي يقول:

" الشعر هو تعبير عن الموسيقى الداخلية عندما يحدث الاتزان الكامل بين العقل والقلب. ومصدر الشعر ليس القلب، لأن القلب أعمى إذا ترك لأهوائه ونزعاته. كما أن العقل ليس مصدراً للشعر،لأن العقل يابس جاف إذا ترك على هواه. إنما يأتي الشعر من توازن بين ضدّين لكن هذين الضدّين يتحدّران عن مصدر واحد، وهو الوعي فينا" .

ويقول المعلم : " كل شيء صنع من نور "، كما قال السيد المسيح، بل كما قالت كل الأديان السماوية. فعندما نتأكد من هذه الحقيقة،وحينما يكون مقامنا في هذا النور، أي فيما يتعدى أزواج الأضداد،يبرز الشعر. فالشعر هو بداهة. وأكثر الشعراء هم في النهاية حكماء،كونهم تحرروا من جميع القيود وظروف الفكر والمكان والزمان،فكان التجلي في الفكر، في نشاطات الفكر". ص 130

إن الشعر " كلمة " تصوغها " سبل عدة منها العاطفة، وهي الغالبة والعائدة إلى بيت العواطف وهو القلب ، ومنها الغائية التي تردد نغم الروح حين لا توجد فكرة تشغل الكيان عن الروح.

حين يتجلى نور الوعي يبسط كل من يعي أن الوجود نغم – على وقعه تنطق الأوتار بالألحان، وتصدح الروح من مكنونها بأناشيد الفرح .

obeikandl.com

فالعقل إنما هو المحرك الحقيقي لمعزوفة الوجود ،وهو غبطة الروح والوتر والنغم إذا ما كان الكل حركة يحركها العقل حتى تصبح نغماً يبسط الوجود -إذا ما كان العقل هو بسط الوجود – إذا ما كان الوجود هو بسط العقل في وجود.

جميل ما يراه المعلم ، لأن النور يلغي ظلمة الفكر، النور يفني الأضداد ، إذا ما كان نور العقل، لأن الأضداد من صناعة الفكر ، وهي خاضعة للانفعال ، وكل ما هو خاضع للانفعال يقع تحت قيد الضدية التي كانت ولم تزل حجاب الفكر الذي يحجب نور العقل عن المادة حتى تبقى خاضعة إلى هيمنته الدنية .

إن الشعر الذي يترجم الشعور قد تعداه جنبلاط الذي يتصور بكلمة من نور، هو تعدى الحرف من أجل أن يصبح الحرف من روح الكلمة – من أجل أن تصبح الكلمة من روح جنبلاط – من أجل أن تصبح روح جنبلاط كلمة متصورة – متصورة من نور - وهذا ما يتعدى الفكر - ما يتعدى الحرف– ما يتعدى الشعر– إلى كلمة من نور.

الحب في شعري ، يقول جنبلاط، الحب لا يتجزأ في الإنسان، إذ أنه كالينبوع الذي ينقسم ويسيل في ذواتنا، وإنما عملنا نحن على تجزئته بواسطة الكلمات ليس إلا. وحينما أتحدث عن الحب، فإني أتحدث عن الحب الحقيقي في ذات الإنسان وعن ظرف تجليه فينا. فلكل الكائنات مكانة في فكري وشعوري. إذ أن كل شيء حيّ في النهاية هو من الميول الإلهية حيث لا يوجد ازدواجية على الإطلاق.

وهنا أطرح السؤال: كيف يمكن للإنسان، إذاً ،ألا يحب ذاته، ذاته الحقيقية" ص 130

حين علمت أن الحب وعي ، أيقنت أن من يحب لا يكره ومن يكره لا يحب. فالحب ليس خاضعاً إلى مادة العواطف تلك؛ إنما هو وعي لجوهر الحب، هو نغم يترنم على شذا ألحانه فؤاد الوجود. ونحن وإن كنا، فلا بد أن نكون جذوة الحب المبارك على مظهرية هذا الوجود. فعلى وتر الحب الصامت الصافي نسمع لحن الخلود. فالصمت يُسمعنا نغماً بلا وتر، حين يترنم في ذاتنا النغم والوتر.

إن الحب لا يتجزأ والجوهر لا يتجزأ إذا ما كان الحب كالعبق الندي في الكون والكينونة والكيان ، إذا ما كان هذا الكل من نسج حرير الحب، إذا ما كان الكل هو الحب الحقيقي ، إذا ما كان الحب الحقيقي هو وعي لجوهر الحب.

هنا تتوحد الذوات في ذاتها ، فيتوحد الحب في ذاته،ويتوحد الكل في ذاته ويتعدى الأعماق والأبعاد واجداً في سبيل الحب – فيجد الحب – فيقول عنه الحب :

" في الزهرة، حيث تختبيء الألوهة ،

هنالك يقيم حبيبي.

❖❖❖

آه ! " إن البحر

قد تدفق على قلبي !

وفي يوم واحد

عشتُ حياة ألف ربيع .

ويا صديقي ،

إني أتبيّن

فيك وجهي ،

وجه حبيبي.

❖❖❖

تلك هي

أغنية حبي . "......... ص 132

هي الألوهة في تجلٍ سرمدي ، ونحن من يختبيء عن ذاك التجلي وراء حجاب الفكر – وراء مساند أفعالنا – وراء جهالتنا. وزهرة المعلم البيضاء، تتجلى فيها إلهة الحب – تتجلى للمعلم – حيث عرف كنه الحب ، وكنه الزهرة البيضاء.

هو الحبيب أبدي التجلي -في كل أين -في كل كلٍ -تراه فيما يتعدى المكان والزمان والحركة -إلى الصمت الجميل – حين تبصرك زهرة بنور الوعي –

obeikandl.com

لتهمس في لسان الوعي بنغم -يتردد صداه على أوتار وعيك – فيصدح نغماً واحداً – في كون واحد – هو الزهرة وأنت – شهود ذلك التناغم البديع .

هنا ، أنت في هدأة – لا تتصور في ريشة الزمن – إذا ما تصورت في ريشة الأبدية – بعد أن صرت أنت وهي وهو نغم – من نغم الأبدية.

ويتسع عالم الوجود – مع اتساع موجات النغم – حين يهمس المعلم في سامعتها ويقول: "

غداً سيمرّ هذا الجسد

فلا يبقى منه أي أثر

حتى البعث

حتى النشور ،

كأشخاص الحلم

التي تختفي وتزول

في الفكر

الذي استيقظ

من أحلامه . ... ص 133

مع اتساع موجات النغم – وعلو صداه ، تذوب المشاعر والأحلام والأوهام – في نار أوقدها الفكر – ويذوب الفكر – في نار كيانه – ويذوب كيانه - في صمت ذلك الاتساع - تذوب كل أحلام الفكر – مع اتساع موجات النغم – حتى لا يبقى فكرة ولا فكر – إنما يبقى النغم – إنما يبقى النغم 0

يذهب كل شيء – ويبقى المعلم– يبقى العلم والمتعلم– يذوب الحرف في الكلمة – وتذوب الكلمة في النور فيبقى النور. ويبقى المعلم – إذا ما كان من ذات النور، يبقى كل من كان – من ذات النور – يبقى كل من كان من ذات النور.

فالبعث والنشور – والولادة الجديدة – هم جميعهم دستور الأبدية – إذا ما خطهم قلم الأزل – دستوراً للأبدية.

obeikandl.com

فأنت تحتوي الكل – والكل يحتوي الكل – والكل هو - أنت وهو وأنا – فنحن الكل – والكل هو – الواحد المتجلي – في الكل – من أجل الكل - والكل .... من أجله - بعد زوال الفكر – الكل من أجله.

[لا تبديل لخلق اللّه]

ونعود – حين يعود المعلم من الماضي البعيد البعيد - إلى غداً :

" غداً سيختفي الخيال

الذي رسمه

قلم العقل

في لوح الوعي

في لوح وعيه ،

تماماً

كما يضمحل الكون

كله في النور

الذي أبدعه،

أو كما ترقد الأمواج

في صفحة الماء

بعد هدأة الريح . ... ص 133

❖❖❖

جنبلاط لم يغلق الباب خلفه – فتركه مشرعاً – ولم يلتفت إلى الوراء – لأنه علم أن الباب قد ذاب – في نور التجلي– في صفاء النور– وصار جنبلاط – في عالم الغد – في عالم الفرح.

هو الخيال صوراً عقلية– تتوارد في التأمل – هي في ذاتها تخاطر - فيما بين الوعي والعقل – هي رسائل شوق – هي رسائل حب – هي رسائل فرح.

obeikandl.com

الكون يذوب في الكينونة– حين تتجلى– حين تتسع– حتى اللانهاية– هي الحرية – هي البسط والجمال – هي الغبطة والسعادة – هي الحاضر والغد – هي الفرح.

نورها ينبسط في الذات – يموج كالخيال – يتناغم في ذاته – وكأنه لحن الخلود – في ليلة عرس الوجود – في ليلة فرح.

بديع أن تناجي – الرب في ذاتك – وفي كل أين – وأن تقول بوحي من جنبلاط :

" مولاي ، هذه النجوم

قد قُطِفت من عنقود بهجتك :

فهي الفراغ المضيء

في نور أبصارنا.

أعطني الناي

لكي أغني

فأموت في اللحن،

فيصدح بي آنذاك

البلبل العشق

لذاته الجوهرية

في ذاته . 00000000 ص 134

❖❖❖

مولاي، إن هذه النواقيس التي أشعلتها– بنار الوجد– إنما هي من مشكاة نورك – رفعتها في عالم بهجة أنوارك – هي منك تنادينا– لنرقى بالنظر إليك – علنا نرقى في ذات النور – إلى مواقع النور – إلى ذاتنا الحرة – إلى حيث أنت – البهجة والفرح . فنصبح من ذات النغم – من ذات اللحن البديع الصافي – من ذات الفرح 0

هو تكلم في لسان الفرح– وإذا ما تكلم الفرح– بهمسة حب– فكأنه هو يتكلم – كأن الحب يتكلم– كأن الفرح يعزف أنشودته– على قيثارة الغروب– يعزف أنشودة الفرح.

obeikandl.com

لقد عرف جنبلاط معانات أمته ، فأوجز محنتهم في سطور قليلة حيث قال:

أُمة العُرْب تقاسي محنةً عبرّ الزمن فهي تزهو وتباهي، وهي تلهو بالفتن
قد غفا عنها الضمير وهي تشكو من أخ تزرع الدنيا كلاماً وهي تخنو للزمن
عَشَّش الكذب في القلوب رياءً وانطوى في الدين لِبْسٌ و...........

ص 138

حين دخل المعلم حديقة العشق – وجد أنه كالعشق معشوقاً – وعرف أن الحديقة عاشقة، ومعشوقها قد تبين في جمال عشقه – كيف وهو العاشق المتيم بالجمال – كيف يصبح عاشقاً للجمال – ومعشوق الجمال ، والجمال لا يعشق سوى ذاته ؟

ويترنم الجمال على نغم كريشنا المعلم – فيتعلم جنبلاط – ترانيم الجمال – من ينبوع الأبدية – ويترنم كريشنا على نغم الحبيب ، ويترنم الحبيب على نغم تعزفه أوتار المعلم – كريشنا :

" كما تختبيء الألوهية في زهرة ،
هكذا يقطن حبيبي في صدري.
وكما يسكن الرعد في الجبال ،
هكذا حبيبي هو في قلبي.
كصياح الطير في الغابة الساكنة ،
هكذا ملأني صوت حبيبي " .... ص 144

❖❖❖

يا حبيبي ،
أنت الخلاص ،
وأنت منتهى كل أمل
وأنت تتمم مشيئة الحب
أنت وأنا ،

obeikandi.com

قد تلاقينا ،

يا حبيبي ،

ألست أنت ذاتي ؟

ألست أنت أريج قلبي الفواح ؟ .... ص 147

❖❖❖

لا تخاف يا صديقي– فهو يحررك من الخوف – هو الحرية المحضة – هو الحقيقة التي أنت تقصدها – إذا ما كنت تقصد الحقيقة – فاذهب بها إليه – إذهب بها إليك – واخلع الأوزار عنك – لتغدو أنت الحقيقة– لتصبح ذاك الأريج الفواح– بعبق الحقيقة .

ويترنم كريشنا

" كالوادي العميق

الراقد في فيء الجبل

أستريح،

يا صديقي،

في ظل يد

حبيبي .

❖❖❖

كوردة

تنمو حولها الأشواك

هكذا أنا قائم ، يا صديقي ،

بين الأشياء التي تمُرّ وتزول " .... ص 150

❖❖❖

هو الجهل أبقانا يا صديقي – وراء ظلام البعد– هو الخوف أمات قلوبنا يا صديقي - وحرمنا من نسمة حرة – نرشف عبيرها في حرية – حرمنا الجهل من الحب – من حبيب – يبسط فينا جنان الحب – وحنان الحبيب – حتى نصبح نحن

obeikandl.com

المعلم – ويصبح المعلم منّا يتكلم – ويصبح قائماً فينا– وتزول الأغراض من حولنا – ولا نزول كما تزول الأغراض – من حول كريشنا – فقد يصبح هو نحن – وقد نصبح نحن هو - وقد نصبح كلنا – هو .

غريب يبحث عن مستقر - عن موطن وعن وطن – والغريب هو كريشنا – غريب هو– كالعقل المفارق – فهل هو يشكو من الغربة؟ أم أنه هو الموطن – وهو الوطن؟

" أنا غريب

بين جميع الشعوب

وفي كل بلد من بلدان العالم ،

لكنني أشعر بين جمهرة المجهولين

عبق الياسمين .

هم يحيطون بي

ولكني لا أعرف الوحدة.

❖❖❖

أبكي على هؤلاء المجهولين ،

كم هم موحدون!

يغمرهم الخوف ،

فيستصرخون

أناساً موحدين مثلهم في نفوسهم " .... ص 151

❖❖❖

غريب هو كريشنا – في عالم غريب – غريب هو العقل – وغريب من يعقل – في عالم لا يعرف العقل– ولا يعقل– هو عالم العقلاء– عالم يعبد الأصنام – ويعاقب من لا يعبد الله – حسب ناموسه – غير المعلن – المسنون فيما وراء الكواليس.

عالم يعبد حجارة الأرض– ولعاب الدود – وفي عمق أعماقه – مساجد وكنائس - لم يدخلها أحد– وأجراس تصرخ – ومآذن تصدح - لم يسمعها أحد.

كريشنا يصبح عَالماً في ذاته – عالم يتأمل ذاته – في وجود يعقل ذاته - حين حقق الموطن والوطن – حين حقق ذاته ... ليقول :

" لقد تحررت من الزمن

وأضحيت لا تشملني محدوديات المكان ،

فأصبحت شبيهاً بقطرة الندى

التي تنشأ منها البحار الواسعة

❖❖❖

آه ! إن حشيشة اللوتس يملأ مجدها شمس الصباح الطالعة ، وإني أفتح قلبي لك، يا حبيبي . " .... ص 155

كريشنا هو المكان – فالمكان هو كريشنا – والزمان هو كريشنا – وقطرة الماء الندية – أيضاً هي كريشنا .

إذن ، هو الوجود حقاً – وهو الوجود صدقاً – يشهد على ناموس هذا الوجود – من الوجود الثابت الأبدي .

كريشنا هو رقة ولطافة – والحب رقة ولطافة – والجمال أيضاً هو - إذا ما كان الجمال – رقة ولطافة .... ليقول :

" كما ترتعش في ريح الصبا

ورقة الحور ،

كذلك يرقص قلبي ويخفق حباً لك .

كما تتلاقى السواقي المنحدرة من الجبال

في الصخب،

وفي الفرح ،

كذلك يا حبيبي تلاقينا

❖❖❖

كما يمتزج الندى

بالعصارة التي تغذي الزهرة ،

obeikandi.com

كذلك أصبحنا أنا وأنت الآن واحداً . "   ص 155

❖❖❖

فيما بين العلة والغاية نحن – ويفتقدنا النشد – لأننا سجناء الفاقة – التي لا تنشد سوى ذاتها.حين كان النشد ينشد كريشنا– حين كان كريشنا ينشد الغاية– والغاية تنشد ذاتها– في ذات النشد الذي وحّده الوعي -حيث أصبح الناشد والمنشود والغاية واحداً.

هي الطبيعة حركة – تملأ الأوداج وجداً - وعشقاً وشوقاً وحباً - وليس سكوناً حسب ما يراه المعلم فيما يقول :

" كما تسكن أصوات الوادي في غسق المساء ،

هكذا أدخلت إلى نفسي السكون والسلام .

إن قلبي تملؤه

محبة ألف جيل

وعيوني تتطلع إليك " .... ص 156

❖❖❖

إذا ما قام عرس الطبيعة– على مسرح المساء– فالكل في عرس الطبيعة ينشد - ينشد ما في ذاته من نشد – حتى الوجود ينشد ذاته – وكأن الحركة تلك – هي تناغم الوجود في ذاته 0

فقد كان كريشنا في هدأة الليل – في هدأة ذاته – حين تحول كل شيء إلى ذاك التناغم الهانيء– في الطبيعة – وفي الذات– وفي الوجود. حيث أصبح الكل - مشغولاً بذلك العرس . إنما هي حركة وليست سكون.

---

obeikandi.com

قالوا في المعلم كمال جنبلاط

فالقول في هذا المارد الجبار - يتعدى معرفتي، حيث أرى:

أن في المعلم حديقة الحدائق ؛ وأنا لم أعرف من حديقة بعد ، عطرها وعبقها وأريجها وشذاها – حتى الرياحين والزنابق والورود.

هو هناك في قمة الجبل البعيد ، المطل على الوجود المادي، وأنا المشغول في معركة الحياة ؛ لم أرفع هامتي يوماً لأشهد القمم.

هو البحر العميق الساحر ، وأنا لم ألج بحراً غريباً ، كوني أخشى من الغرق.

هو الكلمة المتصورة في ريشة الوعي في أبدع صورة وتصور. لتبقى حاجتي الغريبة هي أن تبصر كنه الصورة والتصور، إذا ما كانت الكلمة من عالم غريب ، وفي كنه ذاتها تصورٌ غريب.

هو قال عن العقل – من العقل. ونحن لا نزال في أقبية الفكر العفنة التي لا تسمح لأحد منا أن يرفع هامته– لتبقى أنظارنا منصّبة على أسطح أقدامنا الموغلة في الكِبر. لقد حُكم على السيد المسيح بالموت مصلوباً لأنه قال عن الحقيقة بلسان العقل، فأرهب قوله آذان الفكر، هو قال عن الحب والسلام في عالم قائم على الحرب التي يراها الفكر ثروته الفعلية. هو قال كلاماً محرماً ؛ فوجب صلبه . وقال جنبلاط كلاماً محرماً ؛ فوجب قتله، هو المارد الجبار في علوه،ونحن أقزام لم نشهد مارداً عبر تاريخنا الغارق في أقبية الظلام الدامس .

هو الابتسامة المثقلة بالعزاء على جيل وُلد ميتً . وهو من مواقع الحياة يحمل العزاء عن عصر جيل لا يفقه الحياة.

هو الروح الصافية من الكدر، وهل يحق لروح لا تقبل الكدر في عصر من الكدر؟

هو الآنا التي حققت ذاتها الجوهرية في عالم ينكر الذات الجوهرية جملة وتفصيلاً . إذن عليه أن يرحل خوفاً من تبعات ما يحمل.

obeikandi.com

هو الذي قال كلمة حق في عالم باطل،والحق ميزان عدلٍ في عالم قائم على العدل. إذن عليه أن يرحل هو وميزانه خوفاً على ناموس العالم القائم على الظلم، خوفاً على شريعة العالم القائمة على قانون الغاب.

كلمة أقولها من الأعماق: كمال جنبلاط رسالة حياة تحققت بكل آفاقها ، وبكل أبعادها ،وبكل معانيها. سوف يبقى كلمة مشرقة حتى الأبدية.

الجزء السادس من موسوعة كمال جنبلاط

كمال جنبلاط التربوي

التربية الحديثة

ويعود الكاتب إلى القديم، من أجل أن يكون القديم مرآة وعبرة يرى من خلالها العالم الحديث ما يجب ، ومنه يعتبر.

(إن التربية هي إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال)

ص 18 عن أفلاطون

نرى أن التربية وعلى المدى البعيد تصنع الإنسان صورة ناصعة عن المربي، إذا ما علمنا أن التربية تتناول جميع جوانب الحياة ؛ وأهمها الجانب الجوهري مع العلم أن الجوهر لا يحتاج إلى تربية، إذا ما كانت الحاجة إلى علمه ومعرفته و وعيه.

فالجمال في ذاته، إنما هو جمال الروح، إذا ما كانت هي جمال الوجود، وجمال الواجد، وجمال الموجود، والواجب وعيها ، وليس تحميلها شقاء هذا الفكر.

إن من الواجب وعي الوجود، لنعلم أين نحن من هذا الوجود،وما يجب فعله، وما هي نتائج ما نفعل.

فقد توجه أفلاطون إلى الجمال والكمال،وهما معاً صفات الجوهر،فالجميل هو التوجه إلى كينونة الحياة والوجود والإنسان ، من أجل أن نعلم جوهر وجودنا ومعنى هذا الوجود وغايته، فحين نعلم ونعي ، فقد نعقل كل شيء، ومن خلال عقلنا لوجود نحن جوهره، نفعل فعلاً عقلياً غائياً يحقق غاية رحلتنا

obeikandi.com